

الوافي في الوفيات

نصير أبو عبد الله الطوسي الفيلسوف صاحب علوم الرياضي والرصد كان رأساً في علم الأوائل لا سيما في الأرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار قرأ على المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي الرافضي وغيره وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عليّة عند هولاء وكان يعطيه فيما يشير به عليه والأموال في تصريفه فابتنى بمدينة مراغة قبّة ورصداً عظيماً واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمّع فيها زيادة على أربع مائة ألف مجلد وقررّ بالرصد بالمنجّمين والفلاسفة والفضلاء وجعل لهم الجامكية وكان حسن الصورة سمحاً كريماً جوداً حليماً حسن العشرة غزير الفضائل جليل القدر داهية حكى لي أنه لما أرد العمل للرصد رأى هولاء ما ينصرف عليه فقال له : هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فائدته أيدفع ما قدر أن يكون فقال أنا أضرم لمنفعته مثلاً لقان يأمر من يطلع إلى أعلى هذا المكان ويدعه يرمي من أعلاه طلست نحاس كبيراً من غير أن يعلم به أحد ففعل ذلك فلما وقع ذب كانت له وقعة عظيمة هائلة روعت كل من هناك وكاد بعضهم يصعق وأما هو وهولاء فإنيهما ما تغير عليهما شيء لعلمهما بأن ذلك يقع فقال له : هذا العلم النجومى له هذه الفائدة يعلم المتحدث فيه ما يحدث فلا يحصل له من الروعة والاكتراث ما يحصل للذاهل الغافل عنه فقال لا بأس بهذا وأمره بالشروع فيه أو كما قيل ومن دهائه ما حكى لي أنه حصل له غضب على علاء الدين الجويني صاحب الديوان فيما أظن فأمر بقلته فجاء أخوه إليه وذكر له وطلب منه إبطال ذلك فقال هذا القان وهؤلاء القوم إذا أمروا بأمر ما يمكن رده خصوصاً إذا برز إلى الخارج فقال له لا بد من الحيلة في ذلك فتوجه إلى هولاء وبيده عكاز وسبحة واسطرباب وخلفه من يحمل مبخرة وبخوراً والنار تضرم فرآه خاصة هولاء الذين على باب المخيم فلما وصل أخذ يزيد في البخور ويرفع الاسطرباب ناظراً فيه ويضعه فلما رآوه يفعل ذلك دخلوا إلى هولاء واعلموه وخرجوا إليه فقالوا ما الذي أوجب هذا فقال القان أين هو قالوا له جواً قال طيب معافى موجود في صحة قالوا نعم فسجد شكراً لله تعالى وقال لهم طيب في نفسه قالوا نعم وكرر هذا وقال أريد أرى وجهه بعيني إلى أن دخلوا إليه واعلموه بذلك وكان وقت لا يجتمع فيه به أحد فأمر بادخاله فلما رآه سجد وأطال السجود فقال له ما خبرك قال اقتضى الطالع في هذا الوقت أن يكون على القان قطع عظيم إلى الغاية فقامت وعملت هذا وبخرت هذا البخور ودعوت بأدعية أعرفها أسأل الله صرف ذلك عن القان يتعين الآن أن القان يكتب إلى سائر مماليكه ويجهز الألجية في هذه الساعة إلى سائر المملكة بإطلاق من في الاعتقال والعفو عمن له جناية أو أمر بقتله لعل الله يصرف

هذا الحادث العظيم ولو لم أر وجه القان ما صدقت فأمر هولاكو في ذلك الوقت بما قال وأطلق صاحب الديوان في جملة الناس ولم يذكره النصير الطوسي وهذا غاية في الدهاء بلغ به مقصده ودفع عن الناس أذاهم وعن بعضهم إزهاق أرواحهم ومن حلمه ما وقفت له على ورقة حضرت إليه من شخص من جملة ما فيها يقول له يا كلب يا ابن الكلب فكان الجواب وأما قوله كذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع وهو نابج طويل الأطراف وأنا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الأطراف ناطق صاحك فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص وأطال في نقص كل ما قاله هكذا برطوبة وتأن غير منزعج ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة ورأيت له شعراً كتبه لكمال الدين الطوسي على مصنف صنّفه المذكور وهو نظم منحنى ومن تصانيفه كتاب المتوسطات بين الهندسة والهيئة وهو جيد إلى الغاية ومقدمة في الهيئة وكتاباً وضعه للنصيرية وأنا أعتقد أنه ما يعتقد أنه لأن هذا فيلسوف وأولئك يعتقدون آلهية على واحتصر المحصل للإمام فخر الدين وهذبه وزاد فيه وشرح الإشارات ورد فهي على الإمام فخر الدين في شرحه وقال هذابه جرح وما هو شرح قال فيه إني حررته في عشرين سنة وناقض فخر الدين كثيراً ولقد ذكره قاضي القضاة جلال الدين القزويني C يوماً وأنا حاضر وعظمه أعني الشرح فقلت يا مولانا ما عمل شيئاً لأنه أخذ شرح الإمام وكلام سيف الدين الآمدي وجمع بينهما وزاده يسيراً فقال ما أعرف للآمدي في الإشارات شيئاً قلت نعم كتاب صنّفه وسماه كشف التمويلات عن الإشارات